

تقييم التراث الحضري التاريخي كآلية لتحقيق التنمية المستدامة بمدينة تبسة

الأستاذ: علي حجلة، جامعة تبسة، الجزائر

الأستاذ الدكتور: محمد الهادي لعروق، جامعة قسنطينة، الجزائر.

الملخص:

يشكل التراث العمراني طاقة كامنة يمكن استغلالها ثقافياً وسياحياً، ومما لا شك فيه أن قطاع السياحة أداة فعالة في التنمية المحلية انطلاقاً من مميزاته التي لها علاقة بالاقتصاد الجزئي كالربح والسيولة، وإدراكاً منا لأهمية التراث التاريخي والثقافي المادي في النهوض بالنشاط السياحي على مستوى مدن البلاد ودوره في بعث تحولات اجتماعية واقتصادية تشكل في حد ذاتها قاعدة التنمية على المستوى المحلي، وبالتالي تفعيل نشاط أساسي مدر للأرباح وبطريقة مستدامة كثروة لا تنضب، تأتي دراستنا الهادفة الى تقييم التراث الحضري كآلية من آليات بعث النشاط السياحي وتحقيق تنمية مستدامة في مدينة عريقة كمدينة تبسة.

Abstract:

Urban heritage is a potential can be exploited in the areas of culture and tourism, and no doubt that the latter is an efficient tool for local development from its characteristics related to microeconomics and liquidity, and aware of the importance of historical and cultural heritage in the promotion of tourist activities in cities across the country, and its role in the resurrection of the social and economic changes, in themselves constitute a development database locally, that is to origin of the generator core business profits in a sustainable manner, as an inexhaustible resource, our study aimed to come evaluation of urban heritage as a mechanism for the recovery of tourist activity, and achieving sustainable development in an ancient city like Tebessa, she led us to study the history of the town of Tebessa.

مقدمة:

تعتبر مواقع التراث العمراني من أهم روافد السياحة نظرا للعلاقة الوطيدة بينهما في إظهار ثقافة الحضارات المتعاقبة المخلدة لذاكرة الشعوب واستنباط المعلومات من خلال ارتياد أفراد المجتمعات المختلفة لهذه المواقع أو المواضع التاريخية. كما تعد السياحة في العديد من الدول من أهم الركائز التي يعتمد عليها الدخل القومي، والسياحة في مفهومها هي الانتقال من مكان لآخر بهدف الاطلاع والتعرف والاستمتاع بمواقع مختلفة ويشمل ذلك السياحة الداخلية والسياحة الخارجية، كما تنقسم السياحة حسب نوعية المنتج السياحي إلى سياحة ترفيهية و ثقافية و دينية و علاجية، والسياحة بأنواعها المختلفة تركز على عدة مقومات تشمل المنتج السياحي والمصادر البشرية والإدارة والتمويل والتسويق⁽¹⁾.

وإذا كانت السياحة بهذه الأهمية فإن المعالم والمواضع التاريخية الأركيولوجية تمثل إحدى أهم أعمدتها فالمعروف ان التنمية السياحية تقوم على عناصر عدة أهمها : عناصر الجذب الطبيعية مثل المناخ والنبات والغابات وأشكال وعناصر السطح أو الطبوغرافيا وعناصر جذب غير طبيعية كالمتنزهات والمتاحف والمواقع الأثرية التاريخية، النقل بأنواعه المختلفة، وأماكن الإقامة كالفنادق والشقق المستأجرة ودور الشباب، وعوامل مساعدة أخرى كالإشهار السياحي والبنوك، وإدارة السياحة، ازدادت أهمية ما يسمى بالصناعة السياحية من خلال تنمية هذه المواقع، وينطبق القول على الدول النامية التي تريد تخليص اقتصادياتها من الاعتماد على تصدير المواد الأولية الخام وخاصة منها المحروقات كما هو الحال في الجزائر.

نظرتنا اليوم الى المدينة المستديمة لاتعني بالضرورة أزلية وجودها كنتيجة لعوامل نشأتها بقدر ماتعني عمليات حماية التراث العمراني واسترجاعه وإعادة تأهيله وهي عملية مستمرة .وهو مايستوجب جرد هذه المعالم وحسرها وتقييمها بشكل دقيق، كماينص عليه المخطط التوجيهي للمناطق الأثرية والتاريخية (SDZAH) الذي يندرج في سياق انجاز الخطة الوطنية للتهيئة الاقليمية (2025

SNAT) المنصوص عليها في القانون 01- 20 الصادر في 12 ديسمبر 2001 المتعلق بتهيئة الاقليم وتنميته المستدامة .

لقد تضمن المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير حماية المناطق ذات التراث الثقافي و التاريخي وقد تم التأكيد على هذه الحماية في النصوص التطبيقية له أو تلك النصوص القانونية المنظمة لهذا المجال، حيث منعت منعاً باتاً كل الأعمال المتعلقة بالبناء التي تقع في المناطق ذات التراث الثقافي و التاريخي كالحفريات و الآثار التاريخية باعتبارها جزء لا يتجزأ من الثروة الوطنية وذلك على أساس احترام مبادئ وأهداف السياسة الوطنية للتهيئة العمرانية⁽²⁾.

وما بات مؤكداً- وفقاً لعدد التجارب العالمية - أنه من غير الممكن الحفاظ على التراث العمراني ، خارج سياق تهيئة البيئة والمحيط والتخطيط الحضري، كما لا يمكن فصل حماية المباني وصيانة الأماكن الأثرية، ومعالم المدينة ومراكزها القديمة والأنوية التاريخية، عن خطة تطوير المدينة، في إطار التنمية العمرانية المستدامة (développement urbain durable) والتنمية السياحية والاقتصادية والاجتماعية بالمدن القديمة العربية، التي تزخر بعمق حضاري كامتداد للحضارات العالمية القديمة⁽³⁾.

كما أن المخطط التوجيهي للمناطق الأثرية والتاريخية متضمن في المرسوم التنفيذي 05- 443 الصادر بتاريخ 14 نوفمبر 2005 م الذي يعرف بصفة عامة الاجراءات الواجب انجازها لتحضير المخططات التوجيهية القطاعية ، التي يجب أن تتضمن في مقام أول تشخيص عام للقطاع المعني وتطوره مرفوق بمجموع خرائط بمقاييس مناسبة⁽⁴⁾.

وفي هذا السياق يندرج عملنا هذا الذي يرمي أساساً الى إبراز تاريخ مدينة تبسة أو ماضي المدينة العريق، وأهم المعالم والمواضع التاريخية والأثرية الوجه الآخر لجذور المدينة، ان طغيان الاهتمام بالتراث غير المادي كان على حساب نظيره المادي الذي لم يعرف عمليات ملموسة.

كما يفتقد لدراسات دقيقة ومخططات وخرائط دقيقة مادفعنا لطرق هذا الموضوع كإضافة ان لم تكن بداية متواضعة لكل متعامل دو صلة نأمل أن تفتح باب الدراسات الجغرافية الأركيولوجية والتاريخية للمدينة والمنطقة عامة على مصارعه المختلفة وكتعريف بمجال الدراسة نتطرق للموقع والمناخ .

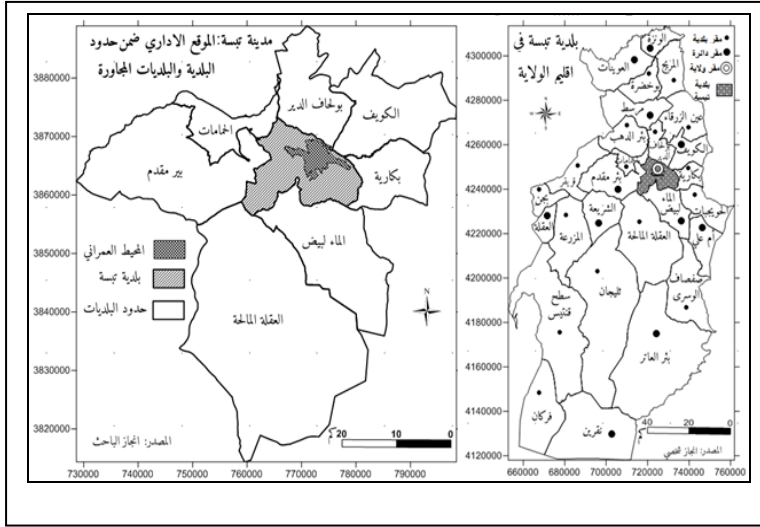
أولا (الموقع والمناخ :

(1 الموقع:

جغرافيا: تقع مدينة تبسة في الشرق الجزائري و هي واحدة من مدن الهضاب العليا الشرقية، موقعها متاخم للحدود التونسية التي تبعد عنها بحوالي 39 كيلومتر، و عن العاصمة التونسية بـ : 289 كيلومترا، مما جعلها تحتل موقعا إستراتيجيا مهما، تمر بها عدة طرق وطنية كالطريق الوطني رقم 10 الذي يصل مدينة قسنطينة بها مرورا إلى الجمهورية التونسية. الطريق الوطني رقم 16 الذي يصل مدينة عنابة بمدينة تبسة و وادي سوف جنوبا. و الطريق الوطني رقم 82 الذي يتجه إلى الجهة الشمالية الشرقية ليربط المدينة بالحدود التونسية. إضافة إلى خط السكة الحديدية المار بمدينة تبسة متجها إلى مدينة عنابة ليربطها بمنجم جبل العنق للفوسفات بمنطقة بئر العاتر. كما يتفرع خط آخر للسكة الحديدية من مدينة تبسة إلى الجمهورية التونسية مارا بمدينة الكويف. ويوجد بالجهة الشمالية للمدينة مطارا للخطوط الداخلية.

إداريا : تعتبر مدينة تبسة مقرا لولاية حدودية مند التقسيم الإداري لسنة 1974 و في الوقت نفسه مقر دائرة تضم بلدية واحدة ، هذه الأخيرة أي بلدية تبسة تقع في الجزء الشمالي الشرقي لولاية تبسة تحدها من الشمال بلدية بولخاف الدير، ومن الشمال الشرقي بلدية الكويف، و من الشمال الغربي بلدية الحمامات و من الجنوب بلدية الماء الأبيض و بلدية العقلة المألحة، وشرقا بلدية بكارية وغربا بلدية بئر مقدم. تترع البلدية على مساحة تقدر بـ: 184 كم² وهي واحدة من بلديات ولاية تبسة هذه الأخيرة تحدها شرقا تونس (39 كم عن معبر بوشبكة الحدودي

وعلى مسافة 280 كم عن العاصمة تونس) وغربا خنشلة وأم البواقي وشمالا سوق أهراس وجنوبا الوادي ، تضم 28 بلدية و 12 دائرة .
 فلكيا: تقع مدينة تبسة على خط الطول $7^{\circ}.8'$ شرقا ، و خط العرض 35.24° شمالا. والمخطط يوضح لنا الاحداثيات الجغرافية لمدينة تبسة بالتدقيق.



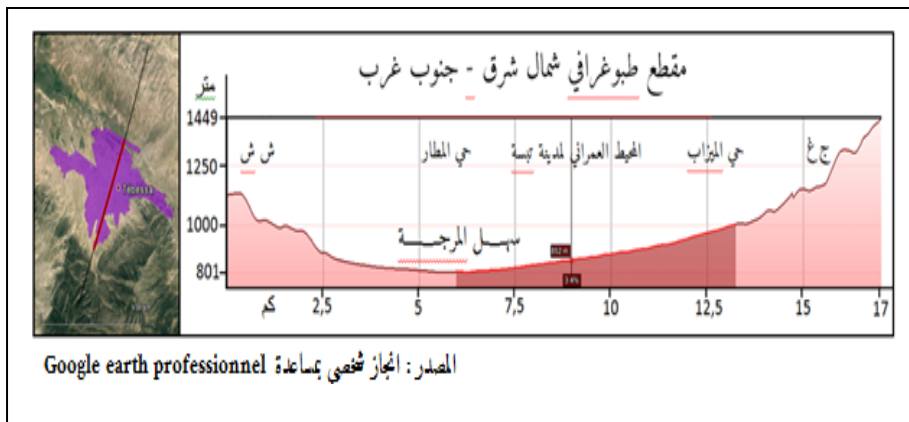
(2) المناخ : تساعد دراسة المناخ التفصيلي للمدن على تجنب توسعها وتفادي توطين مختلف المشاريع في المناطق غير المناسبة ، تبعا لإتجاه الرياح و مصادر الفيضانات و أوقات حدوثها و خطرهما على المدينة ومن تم يمكن معرفة قدرة المدينة على استيعاب المزيد من المشاريع في شتى الميادين وكذا معرفة العوامل الطبيعية المشجعة على تحقيق الاستدامة في المدينة من غير ذلك وهو ما يحتاج لعمل اضافي في هذا الشأن ، وتبعا لتقسيم أومبرجي نجد مدينة تبسة ضمن المناخ المتوسطي وبالتحديد في النطاق نصف الجاف شبه البارد semi aride a hiver frais. أمطارها تسقط بشكل فجائي تسبب فيضانات في معظم الأحيان تلحق أضرارا بالمنشات والأشخاص أحيانا . من الجدول ومن الشكل البياني يتبين أن

مناخ مدينة تبسة يمتاز بارتفاع درجات الحرارة الجدول (01) : توزيع متوسطات درجة الحرارة والتساقط على أشهر السنة لمدينة تبسة (1974- 2003) .

الشهور	ج	ف	م	أ	م	ج	جو	أو	س	أك	ن	د
الحرارة °م	6,5	7,7	10,1	13,2	18	23,1	26,5	26,5	21,6	16,4	11,1	7,7
التساقط مم	2	5	20,64	36,46	28,18	39,04	28,31	13,62	22,7	31,16	22,7	17,77

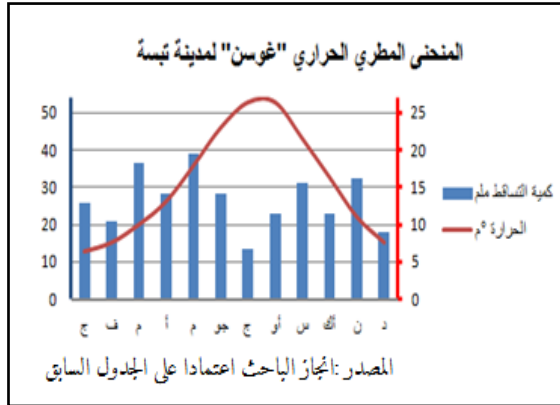
المصدر : محطة الرصد الجوي - تبسة

صيفا وانخفاضها شتاء فالمدى الحراري يصل الى 18,8 درجة مئوية، كما يبدو التدبدب في كميات الأمطار واضحا مع قلتها خلال أشهر السنة فهو مناخ متوسطي تزداد فيه القارية اذ تقدر كمية التساقط سنويا بـ 318,76 ملم ومعامل الاختلاف لأشهر السنة يقدر بـ 27,22 % دليل عدم الانتظام، وفي دراسة أجريناها بعنوان التهيئة الحضرية ودورها في تنمية السياحة بمدينة تبسة⁽⁵⁾.



وبناء على معطيات سالتزر (1913 - 1938) فان درجة الحرارة الدنيا لابرء شهر في السنة بالنسبة لمدينة تبسة هي 1,9 °م أما القصوى لأحر شهر في السنة فهي

34,8 °م ومن ذلك نجد معامل اومبرجي يساوي 35,26 وهو ما يجعل هذه المدينة تنتمي للنطاق المناخي نصف الجاف ذو شتاء شبه بارد semi-aride a hiver frais، ومن مميزاته تشكل الجليء بصفة دورية سنوياً، رياح شمالية وشمالية غربية (نوفمبر-أفريل) وجنوبية تهب في الفترة من (ماي-جويلية)، الفترة الجافة تشمل معظم شهور السنة 5- 7 أشهر تقريبا. مؤشر المناخ : indice climatique de demartone 1923 $I = P/(T+10)$: يساوي 12,4031128(6). وهو ما يؤكد انتماء مناخ المدينة للنطاق نصف الجاف . Semi aride



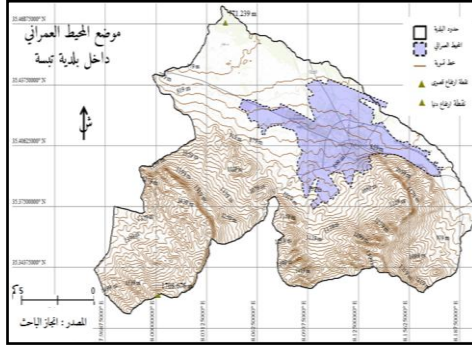
ثانيا : موضع مدينة تبسة :

إن موضع المدينة أو المكان الذي تقوم عليه يلعب دورا هاما في تحديد الوظيفة التي تنشأ من أجلها و خططها و إتجاهات توسعها. يمتاز موضع مدينة تبسة بأنه استراتيجي يساعد على المبادلات التجارية كما يميزه الانبساط النسبي ترتفع المدينة عن سطح البحر بـ: 850 م⁽⁷⁾ وتتصف بجبالها الجنوبية التي تحميها من زحف رمال الصحراء . تتربع مدينة تبسة على مساحة 3653 هكتار⁽⁸⁾. أي نسبة 19.85% من إجمالي مساحة البلدية و المقدرة بـ: 18400 هكتار. أما النسيج العمراني فيمتد بين 800 م بحي المطار شمال المدينة و 995 م بحي الميزاب جنوب المدينة بفارق ارتفاع 195 م ممتدا على مسافة 12 كم نحو الشرق و 7,5 كم نحو الجنوب، أنظر المقطع الطبوغرافي.

ان الغرض من التطرق للموقع الجغرافي لمدينة تبسة في هذا العمل انما يهدف لابرار دوره المساعد على تواتر الحضارات التي عرفتها، فهي لاتبعد عن العاصمة تونس في الاتجاه شمال شرق سوى بحوالي 289 كم، وعن مدينة القيروان سوى بـ 230 كم وعن مدينة سوسة الساحلية التونسية شرقا بـ 291 كم، وعن مدينة عنابة الساحلية شمالا بـ 226 كم وعن مدينة سيرتـا أو قسنطينة بـ 203 كم في الاتجاه الشمالي الشرقي، هذا الموقع الاستراتيجي ازاء هذه المدن التاريخية جعلها تتأثر بمختلف الحملات التي عرفتها تؤثر وتتأثر بمشهدته من أحداث تاريخية.

ومما زاد من استراتيجية هذا الموقع تواجد المدينة على الطريق بين قرطاجة عاصمة فينيقيا التي سقطت بيد الرومان لاحقا ولاميزيوس المقر الثاني للفيلق الأوغسطي الروماني. هذا الموقع الذي يمتاز بانبساطه النسبي ووفرة المياه الباطنية أو الجوفية في جهات عدة ساعد على استقرار الشعوب والحضارات بها، وهو ما جعل المدينة وجوارها تتمتع بتراث مادي تاريخي غني و ثري بحاجة الى تامين وإعادة اعتبار وبالتالي تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية ترقى بمجتمع المدينة وتقله من أوضاع تتصف بالجمود والركود والتخلف الى أوضاع جديدة تتصف بالحركة

والمرونة والديناميكية"⁽⁹⁾. ومن هنا يأتي استعراضنا للمعالم والمواضع التاريخية كل منها على حدى مدعين ذلك بخرائط ومخططات مع وضع توجيهات بعد تحليل واقعها.



ثالثا) النشأة التاريخية وأصل التسمية

1) النشأة التاريخية: عرفت مدينة تبسة الحياة ووجود الإنسان عليها منذ ما يزيد عن 12000 سنة قبل الميلاد⁽¹⁰⁾ أي مرحلة ما قبل التاريخ فيما يعرف عند المؤرخين بالحضارتين العاترية التي تشير بعض المصادر بأنها تعود لفترة أقدم من ذلك بكثير⁽¹¹⁾. نسبة لبئر العاتر بالجزائر، و القفصية نسبة لمدينة قفصة بتونس والواقع أن التواجد البشري بمنطقة تبسة على الحدود الجزائرية التونسية يرجع فعلا لفترات أقدم من ذلك بكثير حيث بينت الدراسات الأركيولوجية وجود مواضع كثيرة احتضنت حضارات قديمة شهدت المنطقة زيادة على الآثار الرومانية البيزنطية والنوميديّة غير أن الدراسات التاريخية المتعلقة بهذه الحقبة لدى قدامى المؤرخين لم تحض بالكثير من الاهتمام لأن ذلك يعني عراقة الشعب الجزائري وهو ما يزعج كل محتل⁽¹²⁾.

ومن شواهد ذلك قبور قسطل بعين الزرقاء، الماء ليض، وتازينت بالشرية، ورسوم الكهوف الحمراء بجبل الدكان جنوب المدينة ، ومواقع عدة

منتشرة هنا وهناك . " civilization de la pebble-culture ou de la culture acheuléenne⁽¹³⁾ .

وقد أطل فجر التاريخ على المنطقة مع قدوم الفينيقيين لسواحل شمال افريقيا 1200 سنة ق م (عناية وبجاية) دون حروب الذين أسسوا مملكة قرطاج وتوسعوا باتجاه مدينة تبسة بحكم الجوار، فتمازجوا وتصاهروا مع سكانها الأصليين الذين كانوا يسمون بالليبيين ومن ثمة أصبحوا يدعون بالبونيقيين بعد امتزاجهم بالفينيقيين وذلك منذ عام 814 ق م بنيت المدينة خلال القرن الخامس قبل الميلاد على غرار مدينة سوق اهراس من طرف الفينيقيين وهي بذلك تعد من أقدم مدن شمال افريقيا. لعبت دورا كمركز تجاري نشط في المبادلات التجارية مع قرطاجة، خضعت تبسة لحكم قرطاجة سنة 250 ق م بعدما عرفت من قبل فترات تحت حكم البونيقيين⁽¹⁴⁾ .

دخلت تبسة في صراعات قرطاجة وروما الى أن وقعت تحت حكم الرومان الغازي بحلول القرن الثاني قبل الميلاد ; ومنذ ذلك وبسقوط قرطاجة أصبحت تبسة مقاطعة رومانية تقيم بها الكتيبة الرومانية الأوغسطية الثالثة أي انها كانت تأوي المقر العام للفرقة الثالثة الرومانية للقيصر أوغست Auguste، التي يتراوح عدد أفرادها بين 5500 - 6000 مقاتل، وفرق أخرى من المشاة والفرسان يبلغ عددها زهاء ثلاثة عشر ألف مقاتل، نقل مقر هذه الوحدة في عهد الأمبراطور "هدريان" الى مدينة "لامبزيوس" سنة 122 م، تمتعت المدينة بنوع من الاستقرار والأمن بلغ دروته في عهد الأمبراطور الروماني "فسباسيان" (69 - 79 م).

فكانت المدينة الرومانية الثانية بعد قرطاج، استمر هذا الازدهار والدور التجاري الذي لعبته المدينة على طريق قرطاجة - لامبزيوس حتى أواخر القرن الخامس الميلادي، وقد ظلت المدينة تحتل تلك المكانة المرموقة في عهد الأباطرة "دوميتيانيس" 81-96 م، "تراجان" و"هارديان" و"سبتيم سيفار" 193-212 م وفي عهد ابن الأخير الأمبراطور أنطونين كاركالا 212-217 م الذي أشتهر

بالقوانين العادلة والمساواة ومنحه الحقوق والحريات لجميع مواطني منطقة تبسة شهدت المنطقة الازدهار الاقتصادي، والتقدم الزراعي والرخاء التجاري والأمني، كما عرفت حركة التوسع العمراني مثل شق الطرقات وبناء بوابة النصر المثلثة في قوس النصر l'arc de triomphe كراكلا المعروف، وعمد الرومان إلى تشييد الكثير من المعالم. لا يزال معظمها قائما وشاهدا على منجزاتهم زيادة على قوس النصر ومنها المسرح المدرج L'amphithéâtre، معبد مينارف temple de Minerve، السور القديم أو القلعة la citadelle، الجسور السبعة على واد زعرور⁽¹⁵⁾.

والكنيسة الكاتدرائية الأولى في افريقيا سنة 256 م، وتبسة العتيقة انتشرت الديانة المسيحية في مدينة تبسة وضواحيها منذ بداية الاحتلال وعلنت رسمية في بداية القرن الرابع الميلادي وبعد الصراع الذي وقع بين الرومان من المسيحيين وغيرهم الذي أل بالبلاد الى المسيحيين كثر الفساد والتنافس على السلطة وتعددت المذاهب فتمرد الجيش وزحف الوندال بقيادة "جنسريق" على ممتلكاتهم فهدموا مابناه الرومان خلال أربعة قرون ثم عادوا للتشييد بعد ادراكهم فداحة ما فعلوه وهو ماتبين من خلال اكتشافات السيد البيرين⁽¹⁶⁾.

في بئر العاتر متمثلة في 45 لوحة عقود بيع وشراء ، وكذا المقبرة المترامية الأطراف بحي دراع الامام وقرب مدرسة الدكتور سعدان " التي تعود لنهاية القرن الرابع وبداية القرن السادس الميلادي وتوجد بها شواهد عن العهد الوندالي الذي واجهته ثورة الأهالي سنة 493 م فخرجت تبسة من تحت سيطرتهم لغاية سنة 532 م .

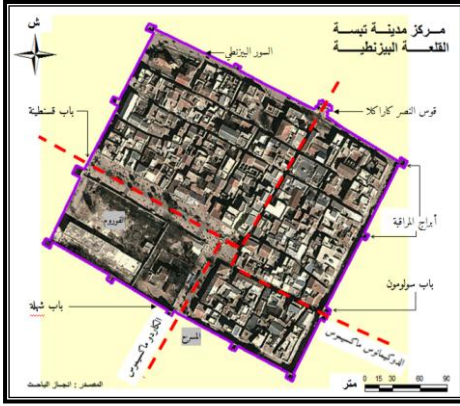
وبعد حكم الوندال كانت بداية العهد البيزنطي بإرسال الامبراطور "جستنيان" جيوشه لشمال افريقيا بقيادة "بليزاريوس" الى تبسة وانتصارها على آخر جيوش الوندال الذين غادر قائدهم نحو "بونة" ومنها الى بيزنطة، وحل محله البطريق "صولومون" الذي يعد محتلا كغيره من الغزاة واجهه ملك الأوراس أنداك فدياس مدعما بحوالي ثلاثين ألف مقاتل مدافعه للعمل على بناء أسوار لحماية نفسه

وجيشه معتمدا على العمال أسرى الحرب والأهالي وأحضر المهندسين من قرطاجة فبنى القلعة الحالية بالمدينة العتيقة.

وكذلك أسوارا حول مبنى البازيليك المشيد في العهد الروماني، وحول تبسة القديمة وحوالي 50 برجاً للمراقبة والحراسة من العدو ورغم هذه التحصينات فقد انتهى حكم البيزنطيين بأسر وقتل صولومون سنة 546م على يد الأمير أنطلاس قائد قبائل الفراشيش والناماشة بضفة وادي زعرور خارج الحصن تحت الأسوار التي بناها صولومون بنفسه.

عرفت المنطقة تعاقب الكثير من الحضارات بداية من عصور ما قبل التاريخ كالحضارة العاثرية تعود لفترة تتراوح ما بين 7500 - 50000⁽¹⁷⁾، ثم الرومانية التي تركت الكثير من المعالم والشواهد فالوندال والبيزنطيين على فترات قصيرة، أعقب هذه الحضارات الفتح الإسلامي سنة 647م وبعد الفتح الإسلامي للمنطقة عرفت حكم الخلافة الأموية ثم العباسية والفاطمية ثم الزحف الهلالي وأخيراً تحت راية الدولة الموحدية وبعد انقسام شمال إفريقيا لثلاث دويلات أصبح إقليم تبسة تابعاً للدولة الحفصية بتونس لثلاث قرون ومجئاً سنة 1573م أصبحت تبسة جزءاً من بايلك الشرق المنتمي للحكم التركي. وبعد سقوط قسنطينة سنة 1837م ومغادرة الأتراك المدينة نحو تونس.

بقيت مدينة تبسة دون قوة نظامية تحميها وانتهى بها الوضع للوقوع تحت الاحتلال الذي بدأ سنة 1842م على يد الجنرال "دو نيكريي"، ورغم الحملات الأخرى التي شنّها الجيش الفرنسي مثل حملة الجنرال راندون 1845م إلا أن الاحتلال الرسمي لمدينة تبسة لم يكن سوى سنة 1851م على يد الجنرال "سانت أرنو" في ظل فوزى عارمة كانت تعم أعراش وقبائل المنطقة ورغم المقاومات التي واجهت الاحتلال دون توقف والمجازر التي ارتكبتها جنرالات العدو وانتهاجهم لسياسة التفرقة وبث الخلاف بين القبائل للتمكن منهم.



(2) المدينة وأصل التسمية : تبسة مشتق من اسمها القديم "تيفيست" وهو اسم نوميدي أو بربري قديم يتدنى وينتهي بحرف التاء، وقد اطلق عليها الرومان تيفاست Théveste اسمها باللاتينية "تيفستيس"، ويرجح حسب الترجمة اللوبية القديمة بأنها تعني اللبوة -أنثى الأسد - ولما دخلها الإغريق شبهوها

بمدينة تيسس الفرعونية لكثرة خيراتها والمعروفة اليوم بمدينة طابة المصرية أما العرب الفاتحين فقد أطلقوا عليها اسمها الحالي تبسة بفتح التاء وكسر الباء، وكسر الباء وفتح السين مع تشديدها⁽¹⁸⁾.

كانت مدينة تبسة خلال الستينات تبدو للناظر القادم إليها من طريق قسنطينة أشبه بقلعة بنية لكونها تقع ضمن السور الحجري البيزنطي (أنظر الشكل : مركز مدينة تبسة أو القلعة البيزنطية).

اضافة الى خمسة أحياء خارج السور وهي الزاوية، باب زياتين ، الكنيسة، وحي الفوبرور وحي لاكمين تتوسط المدينة ساحة " cour carnot " أو ساحة الحرية اليوم بوسطها بركة ماء عليها تمثال رخامي أبيض لـ "jeanne d'arc" الفرنسية وشجرة ثوت كبيرة أزيلت فيما بعد كما ورد عن بعض سكانها ، كان بالمدينة مسجدان جامعان وهما الجامع العتيق، وجامع المدرسة اضافة الى مسجد سيدي أبي سعيد ، تتمتع المدينة بسورها وأبراجها وأبوابها الرومانية كباب كاراكلا "قوس النصر كاراكلا" شمال القلعة و باب صولومون شرقا وكذا باب شالة بجوار برج تعلوه ساعة حائطية كبيرة جنوبا ، وقد تم استحداث باب قسنطينة غربا على مستوى السور البيزنطي من طرف الاستعمار الفرنسي.

وعلى صغرها كانت مدينة تبسة تتمتع بأزقة وشوارع ومرافق نظيفة كمبنى البلدية والحديقة المجاورة له وبمدارس ومحال تجارية قليلة غير ان الانفجار

الديموغرافي الذي شهدته على فترات لاحقة جعل هذه المدينة على غرار المدن الجزائرية الأخرى تعرف توسعا عمرانيا غير منسجم ذات نسيج عمراني هجين سواء داخل المدينة القديمة أو خارجها ليفقد المدينة حاليا ذلك البريق والجاذبية الذين كانت تتمتع بهما ويفرض ضرورة الوقوف أمام وضع المدينة الحالي بتناقضاته واشكالاته وتشخيص هذا الوضع سعيا لتنميتها بمايتماشى وتحقيق بيئة سليمة ومستدامة فالبعد التاريخي لهذه المدينة وماتوفر عليه من معالم تاريخية تتفرد بها احيانا يجعل المدينة قادرة على تحقيق ذلك .

رابعا: المعالم التاريخية لمدينة تبسة : بالنظر لأهمية موقع مدينة تبسة كما أشرنا اليه "على المستوى المغربي فقد كانت معبرا لكل الحضارات المتعاقبة التي عرفها القطر الجزائري سواء تعلق الأمر بتلك الواردة الينا عن طريق البحر كالفينيقية أو الرومانية أو العثمانية أو تلك القادمة من الداخل عن طريق البر كالحضارة العربية الاسلامية ، اضافة الى حضارات ما قبل التاريخ فإنها تزخر بالمعالم التاريخية والشواهد الكثيرة التي تعكس لنا مميزات هذه الحضارات، بلغ عدد هذه المعالم مايزيد عن 500 معلم أهمها :

1) السور البيزنطي (الحصن أو القلعة) : **Muraille de solomon** : أهم وأكبر معالم مدينة تبسة شيد في عهد البطريرق سولومون سنة 535 م لحماية المدينة ومواجهة الأعداء ، تقدر مساحة القلعة البيزنطية ما يقارب 8,1 هكتار كما يبلغ طول محيطها 1364 متر (19)، مزودة بـ 14 برج مراقبة ولها ثلاثة أبواب أحدها في الشمال وهو قوس النصر كاراكلا والثاني في الشرق وهو باب سولومون بين برج مراقبة، الثالث الى الجنوب، وهو باب سري يستعمل للحالات الاضطرابية يدعى "باب شهلة" نسبة الى عين شهلة الروماني المجاور الذي يتغذى اعتمادا على مياه حاجز أقيم على وادي زعرور شرق المدينة الرومانية أو شرق السوق البلدي والمسرح الروماني، وقد استحدث بابا رابعا هو باب سيرتا أو باب قسنطينة يتواجد غربا على الطريق المؤدي الى مدينة قسنطينة

الطابع المعماري المميز لهذا المعلم التاريخي القديم المصنف وطنيا بتاريخ 19/10/1982 الوارد بالجريدة الرسمية 48 الصادرة بتاريخ 30/11/1982.

(2) المسرح المدرج (السيرك) : تم بناؤه في عهد الامبراطور فسباسيان سنة 73 م أو 89م حسب العربي عقون في ترجمته لكتاب "حوز تبسة"، في حين تشير بعض المصادر الى سنة 77م تحديدا، يتسع لما يزيد عن 7000 متفرج، استعمل كملعب أو مسرح وأحيانا لالعب المصارعة بين الفرسان واسرى الحرب أو مع الحيوانات المفترسة. يقع هذا المدرج جنوب شرق المدينة على الضفة الغربية لواد زعرور وعلى بعد 150 مترا من باب سولومون شرق القلعة التي بداخلها المدينة العتيقة، تبلغ مساحة موضع المسرح المدرج حوالي 1,26 هـ تتوسطه حلبة دائرية بقطر 45 مترا⁽²⁰⁾. وحول هذه الحلبة مدرج من 15-16 درجة له مدخلين أحدهما للحيوانات الضارية والآخر للمصارعين ، بعد عمليات البحث التي أجريت سنة 1859م ، القائد أو النقيب الفرنسي "مول" يصف هذا المعلم⁽²¹⁾.

أنظر الشكل أو المخطط الذي يمثل "موقع المسرح المدرج بالنسبة للمدينة"، صنف كمعلم قديم وطنيا بتاريخ 19/10/1982 تضمنته الجريدة الرسمية رقم 48 الصادرة بتاريخ 30/11/1982م ، لا تزال معالم المدرج غير مكتملة أي ان جزء منها مغمور بالتراب وهو بحاجة لابرار معالمه كاملة . يعاني هذا الموضع على غرار معظم المواضع التاريخية الأثرية في المدينة من الاهمال بفعل مجاورته للسوق البلدي غربا وواد زعرور شرقا ماجعله معرضا لرمي النفايات أو مكبا لها، رغم أنه محاطا بسيج حديدي لم يسلم هو الآخر من مظاهر التشويه .

(3) قوس النصر كراكلا: على مسافة أفقية تقدر ب 400 متر انطلاقا من المسرح المدرج الى الجهة الشمالية الغربية ، أثناء حكم الأمبراطرين الأخوين "كاراكلا" و"قينا" بعد وفاة أبيهما "سبتيم سيفار" بدأت عملية تشييد المعلم سنة 211 / 212 م وانتهى العمل منه العام 214 - 215 م يعتبر قوس النصر كراكلا تحفة معمارية فريدة من نوعها في العالم بعد قوس "جانوس" المتواجد بروما الايطالية غير أن قوس النصر الموجود بتبسة أفضل تصميمًا له أربع واجهات أو مداخل



معبد مينارف

أساسية تزين كل منها أربعة أعمدة أسطوانية محمولة على قواعد حجرية كما أن كل جهة مهداة إلى أحد افراد العائلة الحاكمة آنذاك عائلة (سبتيم سيفار) ، الواجهة الغربية مهداة لزوجـة سبتيم سيفار "جوليا دومنا" والشرقية مهداة الى الامبراطور سيبتيم سيفار الواجهة الجنوبية لابنه "كاراكلا" باني القوس وواجهة

رابعة شمالية للامبراطور "فيتا" الذي قتل أثناء بناء القوس، بني قوس النصر كاراكلا بناء على وصية أحد اثرياء المدينة "كايس كورنيليوس ايجريليانوس" قائد الفيلق 14، والقاضية بتقسيم ثروته الضخمة بين شقيقه المقيمـان في المدينة - لعدم وجود ابناء له- مع تنفيذ شروطه ومنها بناء حمامات في كامل المدينة، انشاء نصب كبير للالهة مينارف آلهة الحكمة، وتخصيص مبلغ مالي للفقراء. تم انشاء قوس كاراكلا بطريقة فريدة على شكل مكعب بـضلع ارتفاعه 11 م وفي كل واجهة يوجد قوس، ويرفع فوقه قبة أنظر الشكل "قوس النصر كاراكلا كما كان عند انشائه" ويعد ملتقى لعدة طرق .

أجريت عليه أكثر من عملية ترميم خلال الحقبة الاستعمارية . ما زال إلى اليوم يحافظ على طابعه المعماري رغم زوال ثلاثة اعمدة بسبب الحروب القديمة. صنف قوس النصر كاراكلا كمعلم قديم وطني بتاريخ 19/10/1982 تضمنته ج رج ج دش 48 لـ 30/11/1982م .

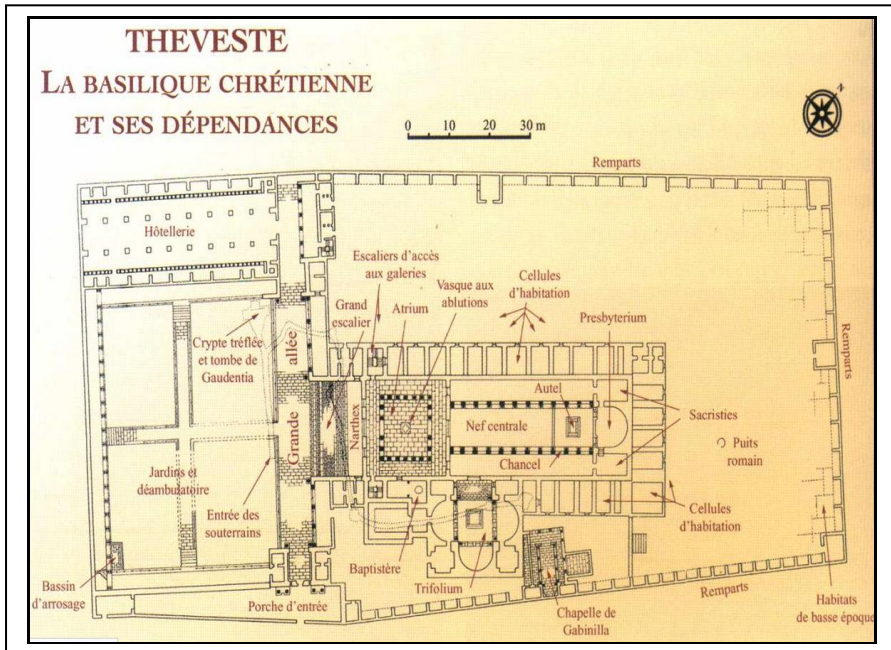
(4) معبد مينارف: بني هذا المعلم بعد قوس النصر كاراكلا سنوات (79- 69م)



قوس النصر كاراكلا كما كان عند انشائه

في عهد الامبراطور فسباسيان ويقع على مسافة غير بعيدة عنه (55م) في فترة كانت تعرف مدا قويا للديانة المسيحية، تزين واجهته الأمامية أربعة أعمدة ذات تيجان

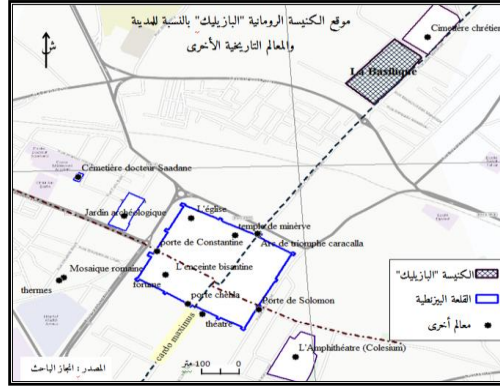
كورنثية، يعلو المعبد عن الأرضية المجاورة بـ 4 أمتار يتم الصعود اليه بسلم من 20 درجة، يتكون من قسمين قاعة للصلاة (Cella) ومقدس (Sanctuaire) فهو معبد الأله مينارف ألهة المعرفة⁽²²⁾.



والحكمة حسب الميثولوجية الاغريقية الوثني يمتد على 19 مترا طولا و 9 أمتار عرضا توجد بداخله فسيفساء رومانية وأواني فخارية متقنة الصنع تعكس الممارسات والطقوس والمعتقدات التي كانت سائدة آنذاك، ويمثل اليوم متحفا لمدينة تبسة، صنف هذا المعلم ضمن التراث الوطني منذ سنة 1902 وتضمنت ذلك ج رج ج دش رقم 07 الصادرة بتاريخ 23/01/1968 ..

(5) البازيليك: La basilique الكنيسة الرومانية البيزنطية: تقع على بعد 620 متر شمال قوس النصر كاراكلا في نهاية محور الكاردو ماكسيموس أنظر الخريطة التالية لموقع هذا المعلم ازاء المدينة، تقدر مساحته 1,8 هكتار فهي بذلك تعد من أكبر معالم مدينة تبسة التاريخية، كما تعتبر مرفقا عاما شيد ليكون محكمة وساحة أو ملتقى عمومي Forum Populaire. يحتضن الكثير من الأنشطة ذات الشأن العام، التجارية والقضائية مفتوحا أمام الجميع من تاجر وصيرفي و محامي وقاضي ومتقاضي .

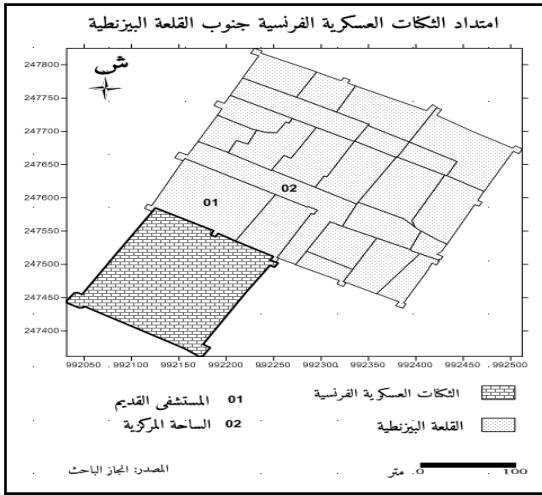
يبدو هذا المعلم كبناء فخم مكون من مساحات خضراء مستطيلة يتوسطها شكل صليب يتلوها رواق أو مدخل كبير يتبعه سلم كبير أيضا مفضي الى داخلها، ويأتي بناء الكنيسة مع نهاية القرن الثالث الميلادي حين ظهرت المسيحية واعتنقها الكثير من الرومان، انشاء الكنيسة يعود لمراحل عدة فبعضهم يرى أنها بنيت مع بناء قوس النصر كاراكلا سنوات 211- 214 م والبعض الآخر (النقيب مول) يرى أنها أقيمت في العهد البيزنطي وأنها كانت ديرا محصنا أما أقوال فيري" أنها ترجع لنهاية العهد الامبراطوري المتأخر الذي شهد انتصار المسيحية وأنها أقيمت على قبو تحت أرضي للعبادة ويذهب البعض الآخر للقول بأنها تعود لعهد القديس أوغستين⁽²³⁾ .



وأنها أقيمت من طرف القس بالاديوس، تتكون الكنيسة إضافة لما سبق من مجموعة عمارات محصنة بسور بيزنطي وهي مركبة من ثلاثة كنائس أولاها أقيمت تحليدا للقديسة "كريسين" فوق قبو عبادة، كنيسة القديسة "جابينيلا"، الكنيسة الكبيرة. اتخذت الكنيسة الرومانية شكلها النهائي مع نهايات القرن الخامس الميلادي. والمهم في ذلك أنها أحد المعالم التاريخية النادرة في العالم بقيت محافظة على طابعها المعماري الاصيل، كانت محل دراسة الكثير من الباحثين من أمثال ستيفن قزال، ليون الافريقي، سيري دوروش، صنف كمعلم قديم وطنيا بتاريخ 19/10/1982 تضمنته الجريدة الرسمية رقم 48 المؤرخة في 30/11/1982 م. أنظر الشكل : البازيليك المسيحية وتوابعها.

(6) تبسة العتيقة (الخالية): L'antique Théveste وهي عبارة عن بناءات متداخلة، تعود للفترة الرومانية متواجدة على الطريق المؤدية إلى جبل الدوكان جنوب المدينة عبر حي الجرف ولا تبعد كثيرا عن حي الميزاب أنظر الشكل الذي يوضح الموضع الأثري "تبسة الخالية" كما تبعد بمسافة مستقيمة تقدر ب 2,9 كم عن باب شهلة الواقع جنوب السور البيزنطي ، تقدر المساحة الاجمالية لهذا الموضع المحاط بسياج اسمنتي وحديدي انشئ لحمايته تقدر ب 23,14 هكتار⁽²⁴⁾.

عزوز بوسط المدينة وهو مايمكن ملاحظته من خلال المخططات السابقة (موقع الكنيسة الرومانية أو موقع المسرح المدرج) تعد الحمامات من مستلزمات جند الفيلق الأوغسطي وتتوفر على كل المرافق على غرار ماهو موجود في روما، فهي تتوفر على غرف استحمام بالماء الحار (Caldarium) وغرف استحمام بالماء الفاتر (Lepidarium) وغرف بالماء البارد (Frigidarium) ⁽²⁶⁾.



8) الحظيرة الأثرية: Le jardin archéologique: تتواجد بوسط المدينة مقابل البريد المركزي حاليا، وتضم الكثير من المواد الأثرية التي تعود لفترات رومانية بيزنطية تم تجميعها بهذا الموضع بغية حمايتها ، وإضافة الى المعالم التاريخية الرومانية البيزنطية هناك معالم أخرى ترجع للفترة العثمانية والفرنسية.

9) الكنيسة: L'église moderne: بني هذا المعلم مع بدايات الاحتلال الفرنسي للمدينة سنة 1845م ويقع داخل السور البيزنطي بالقرب من الركن الشمالي الغربي، استعملت في بناء الكنيسة مواد مشابهة لتلك المستعملة في بناء السور،

وبطابع مماثل، وتمثل اليوم واحد من متاحف مدينة تبسة الأثرية الذي يضم هو الآخر مواد أثرية تعود لفترات مختلفة من تاريخ المدينة خاصة والولاية عامة.

10) المسجد العتيق: يقع بمركز المدينة يعد هذا المسجد أقدم مسجد في افريقيا بعد القيروان بتونس بني بعد الفتح الاسلامي، وجدد بناءه من طرف باي قسنطينة "صالح باي" سنة 1798 م ; إضافة الى المعالم التاريخية السابقة التي تتواجد على مستوى المدينة توجد معالم أخرى في جهات عدة من ولاية تبسة وهي كثيرة منتشرة في أكثر من 500 موقع أثري لايسعنا التطرق اليها جميعا لأن ذلك يتطلب مزيد من الدراسات في مختلف التخصصات ذات الصلة، تجدر بنا الإشارة الى احد أهم هذه المعالم أيضا ألا وهو المعصرة الرومانية برزقان ببلدية صفصاف الوسرى الواقعة على بعد 39 كم عن مدينة تبسة ان هذا المعلم وغيره بحاجة لدراسة شاملة لا تقتصر على ماتوفر منها بالمدينة بل تمتد لتأخذ بعدها الاقليمي.

خامسا: مشاكل التراث المادي التاريخي بمدينة تبسة :

إن أمر حماية المواقع التاريخية، على الصعيد الفردي، قديم جداً، أما على الصعيد



جانب من الآثار الرومانية بموقع تبسة الحالية وامتداد العمران حوله شرقاً

الشعبي والرسمي فقد برز منذ أوائل القرن التاسع عشر. ومنذ النصف الثاني من القرن 19 برزت أهمية المدينة القديمة، بمجموعها وليس فقط بمعالمها الهامة، وأصبحت تشكل بأبنيتها التاريخية مع المناطق التي تحيط بها ؛ الجزء الأكثر قيمة من الثروة الثقافية للأمة⁽²⁷⁾.

في الجزائر و رغم العودة الأخيرة لإعادة الاعتبار لهذا القطاع من خلال المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية 2025 (SDDAT) في مسعى شامل ومنسجم في تنمية الإقليم الجزائري ويستهدف هذا الميثاق تسهيل بروز سياسة حقيقية للتنمية

السياحية المستدامة، الا ان اشارات هذه السياسة في مدينة تبسة لاتبدو بارزة للعيان .

1) التحديات المرتبطة بالعالم الأثرية: يمثل التراث الثقافي المادي المادة الأولية لتنشيط مانسميه بالسياحة الثقافية وسياحة المواقع الأثرية ⁽²⁸⁾، وكتقييم مبدئي اعتمادا على تحقيقنا الميداني الشامل نجد أنه بصورة جزئية أو كلية تعرف المواضيع الأثرية رغم غناها في مدينة تبسة على غرار معظم المدن الجزائرية حالة من التدهور ومن أسباب ذلك نذكر :

_ **التعمير الفوضوي** الذي تفاقم مع الانفجار الديموغرافي للسكان وعدم تطبيق القوانين المتعلقة بحماية المواقع والمعالم الأثرية التاريخية ونقص الموارد البشرية المؤهلة والمختصة لتأمين حماية هذه المواقع مما أتاح الفرصة أمام عملية البناء التي تأتي أحيانا على هذه المواضيع، وهو ماينتشر كثيرا في أرجاء مدينة تبسة، ولعل موضع مدينة تبسة الخالية L'antique Theveste جنوب المدينة الحالية بالقرب من حي الميزاب مثال على ذلك، فهذا الموقع الذي يمتد على مساحة تزيد عن 23 هكتار كادت تشمله عملية البناء الفوضوي المنتشر بهذه الجهة لولا مسارعة الجهات المعنية لإنشاء سياج يحيط بالموقع حال دون حدوث الأسوأ وتشهد على ذلك علامات بداية أشغال البناء على مساحة معتبرة داخل الموقع وخاصة منها القضبان الحديدية المنتصبة الخاصة بأعمدة البنايات وهو منظر مشوه للموقع ومسيء لمثل هذه المعالم التي من شأن حمايتها أن يسهم في بعث سياحة ثقافية مستديمة ⁽²⁹⁾.

نقص الوسائل المادية والبشرية لحماية المعالم التاريخية وإعادة ترميمها : الأمر يتعلق بنقص المختصين في ميدان الأركيولوجيا على مستوى الولاية، وطغيان العنصر الإداري غير المختص على متاحف الولاية، والملاحظ أيضا عدم وجود عمليات استرجاع أو حماية المواقع الأثرية سواء على مستوى الموقع الأثري تبسة العتيقة، فهو بحاجة لاتمام الجدار المحيط به شرقا بموازة الطريق المؤدي الى الموقع الذي يصله بحي الجرف شمالا، وتفاديا للتوسع العمراني على حسابه والأمر يتعلق بالجزء

الغربي منه الذي تقتصر حمايته على سياج فقط رغم مساهمة هذا الأخير في حماية هذا المعلم ومنع عمليات التعمير الفوضوي من الاتيان عليه . كما أن السبيل للوصول الى هذا المعلم هو طريق أو درب غير معبد في حالة سيئة جدا خاصة وأن الأرضية التي يمتد عليها يزداد انحدارها بالاتجاه جنوبا وتمتد بين (936 - 976 مترا) على مسافة مستقيمة (810 مترا) ومنه يقدر ميل أرضية الموقع في المتوسط

بـ 5% ولذا فان اعادة الاعتبار لهذا المعلم تقتضي استصلاح هذا الطريق كحد أدنى على مسافة 1,3 كم بداية من الجسر شمال متوسطة سعدي عثمان الى أقصى جنوب الموقع التاريخي.



موضع المسرح المدرج تبدو لنا ككتبان التفايات الهامدة التي ترمى يوادي زغرور شرق الموضع

_ التدهور الناتج عن اللامبالاة كسبب مرتبط بالإنسان، وتلمس ذلك في معظم المواقع الأثرية بمدينة تبسة ابتداء من الحصن أو السور البيزنطي الذي كانت الكثير من أجزائه منهارة وقامت السلطات الفرنسية بترميمها، وعرف عملية تنظيف



جانب من السور البيزنطي قرب باب سيرتا يظهر لنا ارتفاع المباني السكنية مقارنة بمستوى السور وأبراج المراقبة

وترميم بالرمل مرة واحدة بعد الاستقلال سنة 1980، الملاحظ انتشار عملية البناء وتجديد البنايات داخل الحصن بطابع معماري لايمت



بصلة لمواصفات المدينة القديمة (من الناحية الهندسية وكذا من حيث مواد البناء) إضافة الى ارتفاع البناء دون مراعاة البعد والقرب من السور البيزنطي أو عرض الطريق الفاصل بين السور وعمران المدينة الداخلي الذي كان يفترض أن يعتمد طابعا تقليديا من العمارة الاسلامية ويعتمد مواد البناء المحلية مع مراعاة القواعد العامة للتهيئة والتعمير في هذا الميدان كما تنص عليه المادة 07 من المرسوم التنفيذي 91-175 الصادر بتاريخ 28 /05 /1991

المتضمن القواعد العامة للتهيئة والتعمير، للحفاظ على خصوصيات المكان. يعيش هذا المعلم حالة من التدهور الناجم عن رمي الأوساخ و تعرض جدرانه لعمليات حرق زادت من تشوهه، وانتشار الباعة والمتسولين حوله، واتخاذ أبراجه مكانا لرمي قنينات النبيد المكسورة التي تنتشر في مختلف أرجاء المدينة وهو ما يسيء لسمعة المدينة وتاريخها، وعلى ذات الشاكلة نجد المعالم الأخرى ومنها المسرح المدرج الذي يعرف حالة مزرية للغاية ناتجة عن عمليات رمي البقايا والأوساخ بصورة يومية من جراء سوق الخضار اليومية المجاورة له غربا وسوق القماش والألبسة المستعملة من جهته الجنوبية و امتداد "وادي زعرور" شرق الموقع الذي اتخذ مكانا لرمي النفايات الهامدة و النفايات المنزلية أحيانا والأوساخ، ورغم كل ذلك نجد أن عمليات الاساءة اليه لم تترك حتى السياج الحديدي الذي بفعل مثل هذه الممارسات أصبح عامل تشويه للمعلم، ويضاف لما ذكرناه أن هذا المعلم مغطى بالآثرية وهو بحاجة لإتمام عملية الكشف عن أجزائه المطمورة .

قوس النصر كاراكلا يعاني من الإهمال هو الآخر وانعدام النظافة واتخاذ أرض مجاورة له كمكان لرمي النفايات المنزلية بطريقة فوضوية كما يتعرض لركود المياه وتشكل البرك المائية أثناء سقوط الأمطار التي عادة ماتكون بكية معتبرة وتسقط خلال فترة وجيزة، نمو بعض الشجيرات كشجرتي الزيتون على الجدار ما يؤدي لتفتت صخوره بفعل جذور النبات.

سادسا: تنظيم عملية التدخل توجيهاً وحلول:

1) التدخل على مستوى مركز المدينة أو القلعة البيزنطية: من شأن تهيئة المركز التاريخي لمدينة تبسة المتمثل في القلعة البيزنطية، والعمران الذي تحتضنه دو الطابع الاسلامي أن يبعث حيوية في المدينة مستقبلا ويدر عليها الكثير، ويجعلها قطبا سياحيا بالمنطقة فمؤهلاتها كما لاحظنا من قبل من التراث الثقافي الحضري كثيرة، تنظيم عملية التدخل في هذا الجزء كنواة تاريخية يجب أن يؤدي الى ازالة المشاكل والمعوقات التي تحول دون تحقيق تنمية مستدامة يسهم فيها النشاط السياحي بنصيب أكبر و يقتضي ذلك :

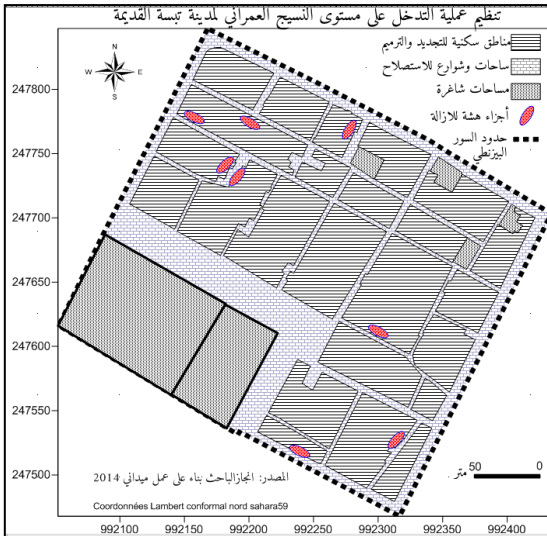
-القيام بعملية تجديد للنسيج العمراني بمركز المدينة "rénovation urbaine": عملية التجديد الحضري تقتضي الهدم وإعادة البناء. في تعارض مع عملية استعادة أو استرجاع العقار "restauration immobilière" التي تتم فيها استعادة المباني القائمة. لا يمكن أن تكون عملية التجديد الحضري متوازنة ماليا إلا إذا كانت سوق العقارات جذابة بما فيه الكفاية، نظرا لارتفاع تكاليف البيع أو التخلي عن أرض مبنية⁽³⁰⁾.

يمكن التدخل بهذه العملية مثلما نص عليه المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير للمدينة PDAU1995 وكذا وفقا لمراجعة المخطط التوجيهي للتعمير لما بين البلديات لسنة 2012

Révision du PDAU intercommunale « Tébessa -Hammamet-Bekkaria-Boulhafeddir-Elkouif » مع الحفاظ على السمات الأساسية للعمران بمركز المدينة

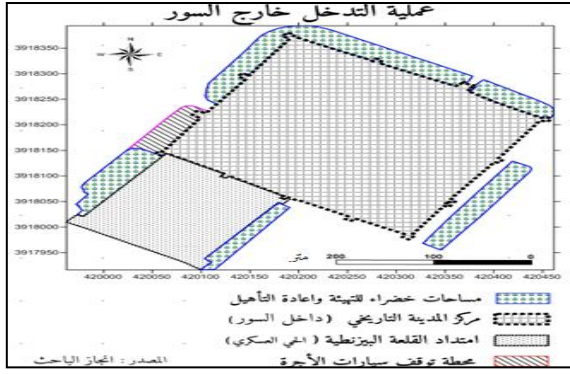
القديم داخل السور، ونحن ندعو في عملنا هذا الى اعتماد التجديد الحضري وكذا عملية استرجاع أو استعادة (Restauration) بعض البنايات وترميم البعض منها وإعادة تأهيل (Réhabilitation) التي تتضمن لبعضها الآخر أي تدخلا نقطيا تغلب عليه عملية التجديد ويشمل هذا مساحة 4,49 هكتار من مجموع 8,0567 هكتار أي بنسبة 55,73 % والواقع أن التجديد يتم بشكل ذاتي أو مانسميه حاليا بالتجديد العمراني الذاتي

Autorénovation تحت وقع عدم تحكم أجهزة مراقبة التعمير في عمليات البناء التي تعرفها المدن الجزائرية لذا فالمطلوب أولا هو تأطير العملية بمراقبة عمليات البناء وفقا لهذه الآلية داخل الأنسجة العمرانية لأنوية المدن القديمة باتباع سياسة تشاركية تجمع المعنيين بالعملية من سكان قاطنين كمجتمع مدني وجماعات محلية وأجهزة الدولة المركزية باعتبار ذلك يمس بالتراث التاريخي الثقافي الوطني كذلك الشأن بالنسبة للبنايات المعنية بالاستعادة أو إعادة التأهيل .



مساجد المدينة كالمسجد العتيق، مسجد سيدي بوسعيد وهذه المعالم بحاجة لعملية تحسين على غرار المعالم الأخرى التي هي بحاجة لعمليات ترميم وتحسين. وعلمنا أن عرض السور البيزنطي في جزئه السفلي يقدر بمترين فإننا نقترح تهيئة هذا الطريق وتعييده وفق الأبعاد الموضحة في الشكل على ان تسبق ذلك عملية استصلاح كامل الشبكات التقنية.

- ازالة بعض الأجزاء من عمران المدينة القديم



(البنيات التي تعرف حالة متقدمة من التدهور) ونرى أنها مكمّن خطر على قاطنيها وعلى المباني المجاورة وهذه الأجزاء من النسيج العمراني داخل المركز التاريخي مشار لمواضعها في المخطط ونظرا للتصدعات الخطيرة التي تعرفها والتي ساهم في انتشارها قدم المباني السكنية ومواد البناء المعتمدة فيه، لجوء السكان للقيام بعمليات توصيل المياه بطريقة فوضوية وتخزينها في خزانات على الطابق الثاني، أعمال صيانة المباني والشوارع التي تتم بطرق عشوائية مما يزيد من مخاطر انهيارها وهو ما يستدعي تدخلا عاجلا للسلطات المحلية قبل فوات الأوان (ان دراسة خاصة بتهيئة مركز المدينة ضرورة ملحة).

- تهيئة وإعادة تأهيل المساحات الخضراء المحيطة بالسور البيزنطي من جهاته المختلفة شمالا وغربا وجنوبا وحتى الجهة الجنوبية الشرقية بالقرب من سوق الخضر والفواكه، والجدير ذكره أن هذه الجهة في الوقت الحالي عبارة عن مساحة تقدر بـ 0,47 هكتار يشغلها باعة الأقمشة والأدوات المنزلية بصورة يومية وتتوسطها مساحة مخصصة كنافورة كان يفترض أن تساهم في جاذبية المكان ومنحه القدرة على توفير الراحة للسكان غير أن وضعها اتخذ منحى آخر فأصبحت تستقبل النفايات من أصناف عدة وكذا مخلفات التجارة الفوضوية مما جعل المكان مصدرا للروائح الكريهة ومبعث اشمئزاز كل مار بالمكان لذا يجب اعادة تأهيل هذه المساحة بعملية تنظيف وإعادة تشجير المكان (هذه العملية تساهم في توفير غاز الأوكسجين بعملية التركيب الضوئي كما هو معروف .

كما يمكن لبعض الأشجار امتصاص بعض الملوثات في الأوساط الحضرية، زيادة على تلطيف المناخ بها محليا بعملية التبخر النتح)، وتهيئتها وفق مايسمح بتوفير متطلبات راحة المواطن ومرتاد المكان مستقبلا، تشغل المساحات الخضراء بجوار السور البيزنطي قرابة 2,25 هكتار، وهو مايمثل 22% من مساحة القلعة البيزنطية وامتدادها (الحي العسكري) معا وهي نسبة تفوق المعايير المطلوبة لذا فاننا نلح على تهيئتها وإعادة تأهيلها وفي هذا الخصوص نقترح الأخذ في الحسبان امتداد القلعة البيزنطية الجنوبي أثناء عملية التهيئة علما أن هذا الجزء يشكل 2,5 هكتار من حيث المساحة .

- القيام بعملية تنظيف شاملة لمركز المدينة وخاصة الأجزاء المحاذية للأماكن الأثرية، مع اتخاذ اجراءات لمنع الحاق الضرر بهذه المناطق مرة أخرى أو اتخاذها كأماكن لرمي أو حرق النفايات أو أي عمل لايمت للحضرية بصلة .

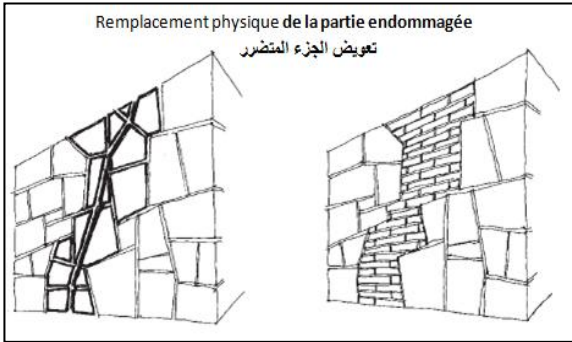
- تغيير استخدام المساحات المخصصة لتوقف السيارات بالقرب من السور التي زادت من كثافة مرور السيارات حوله، وزادت في عملية نفث عوادم السيارات وبالتالي تلوت المعالم التاريخية ومعها البيئة، بزيادة غاز CO_2 في الهواء الجوي بالمدينة .

- أما بالنسبة لقوس النصر كإزالة شجرتي الزيتون التي نمت على المعلم لتفادي تفتت بعض أجزائه فهو بحاجة لعمليات تنظيف محيطه ومنع المتسببين في تلوثه وهذا الأمر ينطبق على كل معالم المدينة الأثرية، كما يحتاج إلى عملية ترميم من طرف مختصين احترافيين في هذا الميدان وعلى معرفة بمواصفات مثل هذه المعالم.

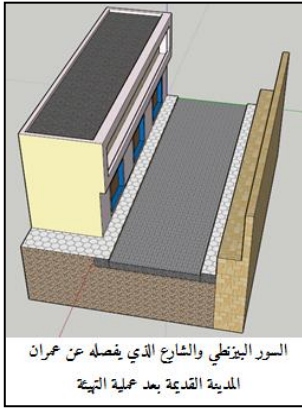
ثانياً: التدخل على مستوى موقع تبسة الخالية يقتضي مايلي:

- ✓ حماية الموقع الأثري بإتمام احاطته بجدار من جهاته المختلفة على غرار الجهة الشرقية منه لمنع التوسع العمراني الفوضوي، وغير الفوضوي على حسابه والذي يكاد يطبق عليه كما يتضح من الخريطة .
- ✓ إزالة بقايا عمليات البناء الموجودة داخل محيط الموقع الأثري لحو التشوه الذي ألحق بالموقع .
- ✓ تعبيد الطريق المؤدي لهذا الموضع الأثري على مسافة 1,3 كم بداية من الجسر شمال متوسطة سعدي عثمان بحي الميزاب إلى أقصى جنوب الموقع التاريخي.

ثالثاً: تكوين المرشدين في الميدان السياحي بأعداد مناسبة بعد القيام بعمليات



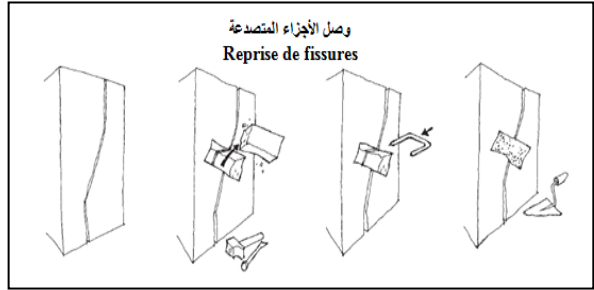
تدخل نقطية على المعالم التاريخية بترميمها أو تجديددها أو استعادتها وبالتالي بعت حركية في السياحة الثقافية وسياحة التراث الثقافي عامة وخاصة المادي منه .



رابعا: استعمال الطرق والتقنيات المناسبة في عملية الترميم والاسترجاع للمعالم التاريخية بصفة عامة فإذا كان السور البيزنطي بمدينة تبسة قد عرف عملية تنظيف وترميم باستعمال مادة الرمل خلال الثمانينات من القرن الماضي مرة واحدة إلا أن هذه التقنية تؤدي لإزالة الطبقة الخارجية للصخور التي تمس بقوام هذه المعالم وبالتالي تساعد في زيادة عملية تعرية هذه المعالم «Augmente le

processus d'érosion»

تحت تأثير عوامل فيزيائية وكيميائية، لذا فمن الضروري الاستجداد بالطرق الحديثة اقتداء بالدول الرائدة في هذا المجال وهذا مع توفر الامكانيات المالية المخصصة



لهذه العملية.

وفي هذه الحالة فان استعادة أو استرجاع الأجزاء المتصدعة أو تلك المعرضة للانحيار يتم بتعويضها مباشرة ببدايل يتم تحضيرها وصقلها من نفس نوع الصخور مع الحفاظ على نفس الطابع دون إلحاق الضرر بالجدار أثناء عملية تبديل القطع المعنية بالترميم أو التجديد، وترجع أسباب تدهور البنى التابعة للمعالم التاريخية الأثرية الى عوامل طبيعية متصلة بعملية التعرية بفعل فيزيائي أو كيميائي من جهة وعوامل بشرية من جهة أخرى مرتبطة بأعمال الانسان.

كما أن عملية استعادة أو استرجاع الجزء المتضرر (Restauration) تتم بالتعويض المادي للجزء المتضرر (Remplacement physique des parties endommagées) أو بحقن الاسمنت المسلح لزيادة ماثنة الأجزاء المتضررة

(Injections ou Rejointoiements) وخاصة تلك الناتجة عن عمل التعرية الطبيعية أو الفعل الميكانيكي للنباتات التي تنمو على المعلم الأثري ، كما يمكن أن تتم بعملية ربط الأماكن حيث تمتد الشقوق بالمعلم كما تستعمل طريقة تدعيم المعلم بالخرسانة المسلحة (Enduit de renfort à base de mortier ou de béton armé) أو عن طريق دعائم (Contreforts).

تنشأ لهذا الغرض لحماية المبنى من الانهيار وتوزيع القوى المؤثرة فيه على الأرضية موضع الدعامة ونضيف أيضا الى مذكرناه أن هذه العملية تصحب بتنظيف الجدار من الطبقة السوداء الناتجة عن التلوث بفعل عوادم السيارات والتي زادت في حداثتها كثافة السيارات التي تمر بها وخاصة منها السيارات القديمة وكذا بفعل عمليات الحرق المتعمد للنفايات على مستوى الجدران باعتبار أن الكثير من النقاط بها جعلت كأماكن لرمي النفايات المنزلية، تستعمل في العملية أيضا اضافة الى تقنية الرمل أشعة الليزر التي بإمكانها ازالة هذه الطبقة دون المساس بقوام الصخور، وأخيرا عملية غسل الصخور بواسطة الضباب الذي يذيب الطبقة السوداء دون المساس بالجزء المادي من المعلم الأثري وصخوره⁽³¹⁾.

وفي الشكل التالي يبدو لنا السور البيزنطي والشارع الذي يفصله عن عمران مركز المدينة من الداخل بأبعاد ثلاثة كما نتصوره بعد عملية التهيئة باستصلاح الطريق أو الشارع من جهة وترميم وإعادة تأهيل السور البيزنطي من جهة أخرى .

- بغض النظر عن الامكانيات السياحية المتوفرة بمدينة تبسة والمنطقة عامة سواء تلك المتعلقة بالتراث المادي التاريخي أو غيره من الامكانيات ، فانه يجب السعي لتنشيط السياحة بزيادة عوامل الجذب والاستقطاب للسياح وفق سياسة شاملة تخص عوامل تحقيق ذلك بداية بتقييم الامكانيات والتعريف بالمنتج السياحي بها الى توفير المرافق وكذا اعتماد ادارة أعمال رشيدة في الميدان السياحي والسهر على خلق تقاليد جديدة هدفها الرفع من الاستثمارات في هذا الميدان وتأمين مردودية أفضل ، ذلك ان الموارد السياحية الخام على غرار مختلف جهات الوطن متوفرة

محليا غير ان المشكلة تكمن في مدى نجاعة هذا النشاط في رفع الدخل القومي للبلد
مقارنة بدول الجوار على سبيل المثال.

الخاتمة:

إننا من خلال هذا العمل حاولنا تقييم جزء من تراث مدينة تبسة وإبراز
ذلك في صورة خرائط ومخططات وفق اسقاطات جغرافية دقيقة نعتقد أنها بداية
لفتح الباب أمام أعمال أخرى أكثر شمولية وتفصيلا، وهذا باستعمال بعض
برامج نظم المعلومات الجغرافية، ونأمل من الجهات القائمة على التراث الثقافي
التاريخي انتهاج استراتيجية هادفة نحو تحقيق سياحة ثقافية مستدامة قوامها الكم
الهائل من التراث العمراني الذي تتمتع به المدينة خاصة والولاية عامة وهو
مايسمح بتطوير أصناف سياحية عديدة كالسياحة الثقافية والدينية، السياحة
الرياضية، سياحة الاسترخاء والترفيه، السياحة المناخية وسياحة الأعمال⁽³²⁾.

تحقيق ماسبق لايتأتى سوى بإعمال سياسة تشاركية يسهم بموجبها الجميع
(الجماعات المحلية والسكان والقطاع المعني على المستوى المركزي) في عملية صيانة
مركز المدينة وتجديده.

❖ هوامش البحث:

- (1) المهندس/ مرفت مامون خليل: التنمية السياحية في مواقع التراث العمراني/ التحديات والمعوقات/ وزارة السياحة و الآثار، المملكة الاردنيه الهاشميه.
- (2) القانون 90-29 الصادر بتاريخ 01 ديسمبر 1990 المتعلق بالتهيئة والتعمير المادة 01.
- (3) فوزي أبو دقة: التراث العمراني بالمدن القديمة العربية ، تقنيات وتخطيط وهوية ، مخبر التهيئة العمرانية، جامعة هواري ، بومدين للعلوم والتكنولوجيا - الجزائر.
- (4) Ministère De La Culture, Le Schéma Directeur Des Zones Archéologiques Et Historiques Août .
- (5) جلاب سالم - ديرم فريد : التنمية الحضرية ودورها في تنمية السياحة بمدينة تبسة . مشروع مهندس دولة في التهيئة الحضرية معهد علوم الأرض، جامعة تبسة، 2009 ..
- (6) climat tempéré:30<I>20climat semi-aride :20<I>10climat steppe:10<I>7,5 .
- (7) المخطط التوجيهي للتعمير PUD.
- (8) المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير 1985.
- (9) فؤادة عبد المنعم البكري: التنمية السياحية في مصر والعالم العربي،الاستراتيجيات - الأهداف- الأولويات ، عالم ، الكتاب، القاهرة، 2004.
- (10) احمد عيساوي: مدينة تبسة وأعلامها، دار البلاغ للنشر والاشهار، الجزائر العاصمة، 2005، الصفحة 25 .

(11) سمير زمال: صفحات من تاريخ تبسة القديم والحديث، دار هومة - الجزائر 2013
صفحة 27.

(12) بيار كاستل. حوز تبسة دراسة وصفية جغرافية تاريخية لإقليم تبسة وأعراسه، ترجمة
العربي عقون، مطبعة بغيضة حسام، 2010، ص 134.

(13) ملخص مداخلات الملتقى الدولي حول علم الآثار 25-29 أبريل 2009 جامعة
تبسة الصفحة 04 .

(14) عبد الرحمن الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ج 1، ص 49 و 50 .

(15) سمير زمال: صفحات من تاريخ تبسة مرجع سابق الصفحة 37 .

(16) المرجع السابق.

(17) <http://fr.wikipedia.org/wiki/prehistoire> de l'Algérie. □

(18) أحمد عيساوي : مدينة تبسة وأعلامها مرجع سبق ذكره، ص 24 .

(19) حساب الباحث اعتمادا على معاينته الميدانية بُرامج (Arc gis + Google earth prof).

(20) حساب الباحث اعتمادا على معاينته الميدانية بُرامج (Arc gis + Google earth prof).

(21) حلبة دائرية بمحيط يتراوح بين 45 - 50 مترا محاطة بمدرجات من 15 ال 16 صف
من المدرجات .

(22) Dictionnaire encyclopédique édition Aouzou 2005 page 1288. □

(23) أنظر بيار كاستال : "حوز تبسة دراسة وصفية جغرافية تاريخية لإقليم تبسة " مرجع
سابق الصفحة 145.

(24) حساب الباحث باستعمال برنامج Global mapper

(25) مديرية الآثار لولاية تبسة .

(26) حسب الرائد "دولافوي" كانت تنظم ألعاب رياضية بهذه الحمامات على نفقة المحسن قايوس كورنيليوس أفريليانوس" وفقا لوصيته التي سبق لنا الإشارة لمضمونها أثناء التطرق لقوس النصر كاراكالو الذي أنشئ بمقتضاها .

(27) دومينيك شوفالييه: (المدينة القديمة) بحث مقدم إلى ندوة حلب القديمة 26 - 29 أيلول 1983 - حلب سورية

(28) حسب المنظمة العالمية للسياحة "السياحة الثقافية تتمثل في تنقلات الأشخاص المحفزة بالدوافع الثقافية مثل الدراسات، الدورات الفنية، التنقلات من أجل المشاركة في التظاهرات الثقافية وزيارة المواقع والمعالم الأثرية

(29) القانون 03-01 المؤرخ في 17 / 02 / 2003 المتعلق بالتنمية المستدامة للسياحة يعرفها كل نشاط استجمام يكون الدافع الرئيسي فيه هو البحث عن المعرفة والانفعالات من خلال اكتشاف تراث عمراني مثل المدن والقرى والمعالم التاريخية والحدائق والمباني الدينية أو تراث روحي مثل الحفلات التقليدية أو التقاليد المحلية والوطنية.

(30) Une opération de "rénovation urbaine" consiste à démolir pour reconstruire. Elle s'oppose à une opération de "restauration immobilière" dans laquelle les bâtiments existants sont restaurés. Une opération de rénovation ne peut s'équilibrer financièrement que si le marché de l'immobilier est suffisamment porteur, compte tenu des coûts de libération toujours élevés des terrains déjà construits. - Source: études foncières de l'ADEF n°136, Joseph Comby . □

Voir <http://www.epf-npdc.fr/Glossaire?Lettre=R>

(31) Hana MEDARAG NAROU BOUBIR et Abdallah Farhi. «La ville de Tébessa en Algérie : un patrimoine archéologique entre marginalité et sauvegarde». URBAMAG, 13 juin 2008, <http://www.urbamag.net/document.php?id=354>.

(32) Schéma directeur d'aménagement touristique de la wilaya de Tébessa ; vision 2030 ; mission 3 URBACO, 2014 page 109.